مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد

عدنان أمين شعبان

سلسلة
محاضرات
الإمارات
44



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
The Emirates Center for Strategic Studies and Research

بسم الله الرحمن الرحيم

تأسس مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في 14 آذار/ مارس 1994، كمؤسسة مستقلة تهتم بالبحوث والدراسات العلمية للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي على وجه التحديد، والعالم العربي والقضايا الدولية المعاصرة عموماً.

من هذا المنطلق يقوم المركز بإصدار «**سلسلة محاضرات الإمارات**» التي تتناول المحاضرات، والندوات، وورش العمل المتخصصة التي يعقدها المركز ضمن سلسلة الفعاليات العلمية التي ينظمها على مدار العام، ويدعو إليها كبار الباحثين والأكاديميين والخبراء؛ بهدف الاستفادة من خبراتهم، والاطلاع على تحليلاتهم الموضوعية المتضمنة دراسة قضايا الساعة ومعالجتها. وتهدف هذه السلسلة إلى تعميم الفائدة، وإثراء الحوار البنَّاء والبحث الجاد، والارتقاء بالقارئ المهتم أينما كان.

إهداء ٢٠١٤

مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيه

الامارات

سلسلة محاضرات الإمارات

ـ 44 ـ

مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد

عدنان أمين شعبان

تصدر عن





مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

محتوى المحاضرة لا يعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

عقدت هـذه المحاضرة يوم الأحد الموافق 23 نيسان/ إبريل 2000

الطبعة الأولى 2000

توجه المراسلات إلى رئيسة التحرير على العنوان التالي :

سلسلة محاضرات الإمارات ـ مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص . ب : 4567

أبوظبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف : 6423776 - 9712 +

فاكس : 6428844 - 9712 +

e-mail: pubdis@ecssr.ac.ae

http://www.ecssr.ac.ae

مفهوم الأمن في ظل
النظام العالمي الجديد

مقدمة

العولمة، أحادية القطب، النظام العالمي الجديد. . . كلها تسميات لتعريف المعطيات الجديدة الناشئة من جراء الانفجار الداخلي للإمبراطورية السوفيتية، وسقوط الستار الحديدي وانتهاء الحرب الباردة. إن إحدى العلامات الأساسية المميزة لهذا العصر الجديد هي بروز دينامية أمنية متطورة يمكن اعتبارها قفزة نوعية بالنسبة إلى مفهوم الأمن، تتسم بفقدان استثنائي للتوازن على رقعة الشطرنج العالمية. إنه تفاوت كبير متعدد الأبعاد؛ استراتيجياً واقتصادياً وسياسياً ودبلوماسياً ودينياً وإعلامياً .

وعبر هذا التفاوت أعطت منظمة الأمم المتحدة، هذا العالم الصغير في توازن هذا الكون، مع احتلال العراق لدولة الكويت، صورة حية عن الانقلاب الضخم في علاقات القوى؛ ففي 2 آب/ أغسطس 1990، لم يعد العالم الذي عهدناه هو نفسه. "فالنصر بدون حرب"، الذي توقعه الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون لعام 1999، قد تم إحرازه عام 1991 ومعه سقط منطق ثنائية القطب لتحل محله هيمنة أحادية تتمثل بأمة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية - روما العصر الحديث - مع مجموعة قيمها وقوانينها، والأمر الذي إن اعتبره البعض إنجازاً عظيماً، فإن البعض الآخر قد اعتبره قدراً حزيناً .

إن تطور عالم ما بعد الحرب الباردة يبقى تطوراً بسرعات متعددة، كما يفرضه اقتصاد السوق. لكن عمق التباينات بين الأغنياء والفقراء،

مفهوم الأمن في ظل
النظام العالمي الجديد

والنزاعات الإقليمية، ومشكلات الأقليات، والتنافر بين الدول والمعارك في سبيل التنمية. . . إلخ مع ما يرافق ذلك من كوارث ونكبات، كلها أمور تجعل من إدارة شؤون هذا العالم مهمة غير سهلة.

إن ترتيب الأزمات من حيث أهميتها والذي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العظمى يبقى موضع اعتراض من قبل القوى الإقليمية الحائزة على قوة نووية وديمجرافية لا يستهان بها؛ كالصين والهند، وباكستان أيضاً، وضمن هذا الخط تتقدم بقية الدول الآسيوية.

في النظام العالمي الجديد، تعم الفوضى، وكذلك التهديدات. وفي سبيل امتصاص الأزمات واحتواء الطموحات والالتفاف حول خطوات القوى النووية الآسيوية، لجأت القوة العظمى؛ صاحبة الآلة الحربية الرهيبة - حلف شمال الأطلسي - إلى ثلاث وسائل: الأولى وقائية وذلك باعتماد النموذج العراقي. والثانية علاجية باعتماد النموذج اليوغسلافي. أما الوسيلة الثالثة فهي مزيج من الاثنتين السابقتين وتتمثل باعتماد النموذج السوفيتي.

إن العلاجين الأولين يمكن تطبيقهما على البلدان غير النووية، أو على تلك الدول التي يحتمل أن تغدو نووية. أما العلاج الثالث، فيعتمد مع البلدان التي تمتلك أسلحة نووية. إن التجربة العراقية والتجربة اليوغسلافية والتجربة السوفيتية تدل مجتمعة بوضوح على أن أية محاولة جدية لمقاومة النظام الأمريكي أو تحديه لن تعطي ثمارها في ظل الأوضاع الدولية السائدة حالياً.

إن مقاربتي لفهم تطور مفهوم الأمن بشكل أفضل مبنية على المنهجية التالية:

مفهوم الأمن في ظل
النظام العالمي الجديد

1. ثنائية القطب

أ. الأمن الثابت

جاء تكوين الكتلتين الشرقية الاشتراكية والغربية الرأسمالية نتيجة حتمية لتقسيم العالم في مؤتمر يالطا عام 1945 مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، وأصبحت أوربا هي قلب التقسيم. ففيها يقع الخط الفاصل بين الشرق والغرب، وفيها تتحرك القوى العسكرية لكل من حلف شمال الأطلسي وحلف وارسو، وفيها أيضاً تتقارب الأهداف التي تلاقت على حماية أوربا الشرقية وأوربا الغربية.

إن حقل عمل كل من حلف شمال الأطلسي وحلف وارسو، الذي كانت أوربا مسرحاً له، فرض فيها أمناً ثابتاً قائماً على مبدأ "توازن الرعب"، يضاف إليه أمن الفناءات الخلفية الواقعة خارج نطاق حقل عمل كل من الحلفين، فقد اعتبرت أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية الفناءات الخلفية (Back Yards) للولايات المتحدة الأمريكية فيما اعتبرت كل من فنلندا وأفغانستان، وفي وقت معين بنجلادش (بعد انفصالها عن باكستان في بداية السبعينيات)، الفناء الخلفي للاتحاد السوفيتي.

وبتاريخ 12 كانون الأول/ ديسمبر 1979، قررت الولايات المتحدة الأمريكية تحديث ترسانتها النووية في أوربا، وذلك ضمن نطاق قوات حلف شمال الأطلسي، باتخاذها قرار بناء صاروخ "بيرشنج 2" و"الصواريخ العابرة للقارات" (ICBMs) ونشرها على أراضي القارة القديمة لمواجهة التفوق السوفيتي المتمثل بصواريخ "إس-إس 20". وجاء رد موسكو سريعاً حيث قام الجيش الأحمر السوفيتي باجتياح أفغانستان مهدداً بذلك المصالح الحيوية الأمريكية والغربية بشكل عام، في منطقة الخليج العربي.

مفهوم الأمن في ظل
النظام العالمي الجديد

إن توقيت الاجتياح جاء ليؤكد أن الأزمة الأفغانية كانت قبل كل شيء أزمة ذات طبيعة أمنية اقتصر التعاطي معها على الأمريكيين والسوفييت اللذين لم يستدعيا الأمم المتحدة إلا لتكون شاهداً في جنيف عام 1988، على توقيع الاتفاق الأمريكي ـ السوفيتي المتعلق بسحب الجيش الأحمر السوفيتي من أفغانستان، وذلك مع بداية انهيار الإمبراطورية السوفيتية.

ورغم استمرار الحرب في أفغانستان، فإن البعد العالمي لها قد تلاشى، فالمجاهدون الأفغان الشهيرون، الذين وصفهم الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان بـ "المحاربين من أجل الحرية" ووصفتهم بعض المنابر الأوربية بـ "المدافعين الشجعان عن العالم" وعن "القيم الإنسانية"، صغر حجمهم بسرعة وذاع صيتهم بعد الانسحاب السوفيتي في جميع أنحاء العالم بأنهم ليسوا إلا "مهربين وإرهابيين".

ب. الأمن الدينامي: مناطق النفوذ والمناطق الرمادية

كانت المواجهات بين القوتين العظميين خارج نطاق المواجهة النووية المتمثل بتوازن الرعب ممكنة ومسموحاً بها عن طريق فرقاء آخرين. إنه الأمن الدينامي الذي مورس في مناطق النفوذ المتنازع عليها أو المناطق الرمادية حيث لم تكن الهوية الاستراتيجية محددة بشكل نهائي.

إن المعارك الدبلوماسية التي كانت تدور داخل مجلس الأمن غالباً ما كانت تنتهي بتسوية ثنائية، أما عند إرسال قوات من منظمة الأمم المتحدة، بصفة مراقبين أو قوات حفظ سلام، فإن للقوتين العظميين – الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي – وحدهما حق الرفض أو الموافقة، هذه الموافقة التي لم تكن تعطى إلا في حالات معينة ووفقاً لنيات كل منهما

المبيتة؛ فتأتي إما تكريساً لأمر واقع ينقض القانون الدولي (قبرص) وإما حفاظاً على مفهوم القانون (لبنان). وإذا كان للأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن حق النقض "الفيتو"، فاللعبة إجمالاً جرت بين القوتين الكبريين في حينه.

إن مفهوم الأمن لا تحركه بالضرورة روح العدالة، أو البحث عن الحق، لأن العدالة غالباً ما تكون "عدالة الوسائل المتوافرة" التي تكون إحدى وجوه توازن القوى.

ج. الأمن الوقائي

1. الأمن الوقائي للأسلحة النووية والجرثومية: تعتمد الولايات المتحدة - متفردة في القرار وبمشاركة حلفائها في التنفيذ - الأمن الوقائي في مجال انتشار الأسلحة النووية والجرثومية، ويخضع اعتمادها هذا النوع من الأمن لصيغة انتقائية.

2. الأمن الوقائي لتجارة الأسلحة التقليدية: اقتصر بيع الأسلحة ونقلها إلى مناطق الثورات والبقع المتنازع عليها (المناطق الرمادية) قبل انهيار الاتحاد السوفيتي على القوتين العظميين آنذاك.

أما الآن، وإن استمر البيع منوطاً بالدولتين، وحسب أسباب خاصة بكل منهما وفي مجالات مرتبطة بهما، فإن المشرف الأساسي على أعمال النقل هو الولايات المتحدة الأمريكية التي انفردت بقيادة البحر والبر والجو. ومع هذا التفرد بدأت انتقائيتها في أحقية وصول الأسلحة، فالسلاح مؤمن حين يكون في خدمة أهدافها ومحجوب عندما لا يتناسب وتلك الأهداف.

مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد

2. مرحلة ما بعد الحرب الباردة

أ. إعادة تأهيل مؤقتة لمنظمة الأمم المتحدة

إن الإطار الدولي الذي جرى فيه غزو دولة الكويت عام 1990، واحتضار الاتحاد السوفيتي، قد أثارا فيضاً من القرارات في مجلس الأمن. كما أن التحرك الخاطف للجنود الأمريكيين نحو المملكة العربية السعودية إثر ذلك الغزو حصل بشكل متواز مع عاصفة القرارات تلك، وساهم بقدر كبير في إدراك أن العالم قد بلغ مرحلة حاسمة من وجوده، من المفترض أنها تتميز بسيادة القانون الدولي. فالستار الحديدي وجدار برلين اللذان أخرا هذا الاستحقاق سقطا، ومع سقوطهما انتعشت "صورياً" أحلام حقوق الإنسان والحرية وقيم الديمقراطية.

لقد هب عشرات، لا بل المئات والآلاف من السياسيين والصحافيين والفنانين والأدباء والمفكرين، لنجدة هذا الحق المنتظر، الذي ينقل صورة جانبية لفردوس أرضي يصبح بمتناول كل إنسان. إن أمن الأبرياء - إن لم نقل السذج - سيتوافر بفضل الله ثم بفضل منظمة الأمم المتحدة، وسوف يعم السلام على الأرض أخيراً. فاستعادة نشاط منظمة الأمم المتحدة هذا سمح بإعادة تأهيل المنظمة الدولية التي وصفها الزعيم الفرنسي الجنرال شارل ديغول فيما مضى بـ(LE GROS MACHIN) "الشيء الكبير" فيما اعتبرها أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل الأسبق "تجمعاً برتوكولياً"، ولا أدري تماماً إذا كان بإمكاني مقارعة الرأيين السالفين بالحجة!

ب. الانتقال من وهم قوة الحق إلى حق القوة

قبل نشوء الاتحاد السوفيتي، وبعد سقوطه لم يعرف العالم شيئاً اسمه "قوة الحق" بل إنه تعبير أخلاقي طوباوي لم يجد لنفسه ترجمة حقيقية في

عالم الماديات والصراع على النفوذ، ومحاولة الرفع المعنوي الذي خضعت له منظمة الأمم المتحدة أعطت الولايات المتحدة الأمريكية تفويضاً من مجلس الأمن لتطبيق قراراته وحماية القانون والعدالة الدوليين. لكن كل شيء توقف فجأة بعد أن رفض الأمريكيون وضع قواتهم تحت إشراف قيادة عسكرية مشتركة، وهكذا تجاوزت حرب الخليج الثانية أهدافها الأساسية المتمثلة بتحرير دولة الكويت.

وفي 2 كانون الأول/ ديسمبر 1992، صوت مجلس الأمن على القرار رقم 794 الذي أجاز تدخلاً عسكرياً دولياً بقيادة أمريكية في الصومال، وبعد أقل من أسبوع واحد، تم إنزال 38 ألف جندي، بينهم 25800 جندي أمريكي، على الشاطئ الصومالي فيما عرف بعملية "إعادة الأمل". وفي 31 تموز/ يوليو 1993، أجاز مجلس الأمن نفسه للولايات المتحدة الأمريكية التدخل في هاييتي لتطبيق القرار رقم 940 وطرد العسكريين من السلطة. وفي كلتا الحالتين، رفض الأمريكيون إشراف قيادة مشتركة.

إن قوة الحق، التي كان يتم التباهي بها قبل اندلاع حرب الخليج الثانية، انقلبت بسرعة إلى حق القوة، وحجة الأقوى. وعندما قام بطرس غالي، السكرتير العام السابق لمنظمة الأمم المتحدة، باقتراح إنشاء وحدة دائمة لفرض السلام، كان الرفض الأمريكي حاسماً. فقد اعتبر اقتراح غالي، في نظر الأمريكيين وبكل بساطة، بمنزلة مطالبتهم بالتخلي عن مصالحهم الحيوية وحمايتها بالطريقة الفضلى التي تتولاها قواهم الذاتية مع قوى حلفائهم، وبالتوقيت الذي يرونه مناسباً.

ج. الولايات المتحدة الأمريكية والاسترداد

إن إضفاء منظمة الأمم المتحدة الصفة الشرعية على أعمال حلف شمال الأطلسي العسكرية، وتفجر مأساة البوسنة والهرسك، جعلا حلف شمال

الأطلسي يعرض خدماته العسكرية والأمنية على منظمة الأمم المتحدة. ففي 4 حزيران/ يونيو 1992، أعرب الحلف عن استعداده لإرسال جنوده خارج نطاق حدود العمليات الخاص به والمحدد سابقاً.

وبعد سنتين، تم تكليف حلف شمال الأطلسي بفرض حماية حرمة المناطق الآمنة في البوسنة والهرسك، وفي الوقت نفسه، انتقلت فاعلية القرارات من مجلس الأمن إلى "فريق الاتصال" المؤلف من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا. وفي 25 تموز/ يوليو 1994، ألقى مجلس الأمن السلاح بشكل نهائي، وقام أمين عام منظمة الأمم المتحدة بطرس غالي بتقديم تقريره الشهير الذي اقترح فيه أن تتخلى منظمة الأمم المتحدة عن دورها تجاه القضية البوسنية على أن يأخذ "فريق الاتصال" على عاتقه مباشرة معالجة الملف البوسني، وإعلامها عن مراحل المعالجة تلك دون أية حاجة للعودة إليها.

وبذلك تكون منظمة الأمم المتحدة قد شرعت العمل الحربي لحلف شمال الأطلسي قبل "حرب كوسوفا"، الأمر الذي يضفي بعضاً من الشرعية على أعمال الحلف. وفي الوقت نفسه، شكل هذا التفويض المسبق سبباً إضافياً لنشوب الحرب. فبعد تهميش دور كل من روسيا والصين، وجد مجلس الأمن نفسه غير قادر على استعادة دوره، ليس فقط في منطقة البلقان، وإنما جميع أدواره الممكنة لاحقاً والمتعلقة بنزاعات أخرى في أماكن أخرى وأوقات أخرى.

جاءت "الوثيقة الأطلسية" المعلن عنها في قمة حلف شمال الأطلسي المنعقدة في واشنطن عام 1999 بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحلف، لتؤكد على توسيع حقل عمل واهتمامات هذه المؤسسة التي صمدت بعد

انهيار الستار الحديدي وتفكك حلف وارسو، وقد سعت هذه الوثيقة إلى جعل الحلف حاجة لا يستغنى عنها، وبالتالي إلى جعله حلفاً أبدياً. والصفتان المذكورتان عمَّدهما الحلف بالدم والنار في حربه ضد يوغسلافيا وكوسوفا معاً.

د. تجديد حلف شمال الأطلسي وتأمين استمراريته

عندما تأسس حلف شمال الأطلسي عام 1949 بوصفه عقداً رضائياً بين أوربا والولايات المتحدة الأمريكية التي اضطرت، خلال قرن واحد، لأن تنقذ أوربا مرتين بتدخلها المباشر في الحربين العالميتين الأولى والثانية، حدَّد أمين عام الحلف آنذاك اللورد أسماي وبكلمات قليلة مهمة الحلف بالآتي: هدف الحلف: "إدخال الولايات المتحدة الأمريكية إلى . . .، وإخراج روسيا من . . .، وإبقاء ألمانيا تحت . . ." .

مع سقوط الشيوعية خرجت روسيا ليس من أوربا فقط، وإنما خارج حدود الواقع تقريباً وخارج نطاق القرار على رقعة الشطرنج الفاعل. أما ألمانيا، ورغم توحيدها، فماتزال من الناحية العسكرية كما كانت بعد الحرب، وستبقى دون القوى الأوربية الرئيسية. وبالتالي، بقي من معادلة اللورد أسماي شقها الأول فقط؛ أي إدخال الولايات المتحدة الأمريكية إلى أوربا.

بعد زوال حلف وارسو، وعوضاً عن التفكير في تقليص دور حلف شمال الأطلسي، اتجه التفكير فوراً إلى توسيعه فأدخلت بولندا والمجر وجمهورية التشيك ليصل عدد أعضائه بعدما انطلق بست عشرة دولة إلى تسع عشرة دولة. وطلبات الانتساب الكثيرة لدول شرق أوربا ستجعل حدود الحلف تبلغ الاتحاد الروسي إلا إذا تقدمت روسيا نفسها بطلب للانضمام إلى الحلف!

مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد

هل الحلف أبدي؟ هذا على الأقل ما ترغب فيه وتعمل له الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأعضاء فيه، فصموده إلى ما بعد إنجاز مهمته الأساسية؛ أي مواجهة "التهديد السوفيتي" يضعه على طريق الخلود. إن قمة حلف شمال الأطلسي المنعقدة في روما بتاريخ 7-8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1991 قد استخلصت نتيجتين مهمتين بعد انهيار حلف وارسو: الأولى، أن هذه البيئة الجديدة الناشئة لا تؤثر في أهداف حلف شمال الأطلسي ولا في مهامه الأمنية، إنما تبرز شرعيته الدائمة والحاجة المتجددة إليه. أما الثانية، فهي أن هذه البيئة الجديدة تقدم للحلف في المقابل فرصاً جديدة لوضع استراتيجيته ضمن إطار مفهوم جديد وموسع للأمن.

ولا مجال للأوربيين لقطع شريان الحياة الذي يربطهم بالولايات المتحدة الأمريكية المنتصرة، فالوقت هو وقت توسيع الحلف، لا وقت إزالته. وبالتالي، تجب زيادة عدد الدول المنتسبة إليه، وتوسيع حقل عمله ومداه. وهناك سابقة بهذا المعنى اعتمدت إبان حرب الخليج الثانية، استناداً إلى افتراض مستبعد إن لم نقل إلى افتراض وهمي، وهو احتمال قيام العراق بمهاجمة تركيا، وذلك لإرغام دول أعضاء في حلف شمال الأطلسي (ألمانيا وإيطاليا وبلجيكا) على إرسال بعض قواتها الجوية إلى الأراضي التركية. فالسابقة نجحت، وانتقل الطيران الأوربي إلى تركيا كما تريد الولايات المتحدة الأمريكية.

إن "الوثيقة الأطلسية" الآنفة الذكر تعدِّد الحالات التي تصبح فيها حملة عسكرية معينة وشيكة، بالطبع من دون أن يؤخذ في الاعتبار هذا "الشيء الكبير"؛ أي منظمة الأمم المتحدة. إن المسرح المختار لمثل هذا النوع من الحملات يقع في البحر الأبيض المتوسط الذي أصبح، استراتيجياً،

بحراً أطلسياً، فالحوار الأوربي ـ المتوسطي ينطوي من الآن فصاعداً على لهجة أمريكية مبطنة. أما سياسة الدفاع الأوربية، فقد حلت محلها قوة عسكرية أوربية مندمجة عضوياً داخل آلية حلف شمال الأطلسي العسكرية، وبالتالي تابعة لهذه الآلية.

3. الحق في التدخل

أ. الأسباب الإنسانية الموجبة

إن "الحق في التدخل" هو اكتشاف معاصر للقوتين العظميين؛ الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وقد استعارته منهما القوى المتوسطة كفرنسا التي لا ينقصها الأيديولوجيون والمنظّرون، وحورته، فغدت عبارة "الحق في التدخل" – وليس بالضرورة أن يكون عسكرياً – من صنع فرنسي. وقامت منظمة "أطباء بلا حدود"، التي ارتبطت ولادتها بمأساة "بيافرا"*، بإطلاق هذا الشعار مع التشديد على كلمة "حق" بمناسبة حرب الخليج الثانية.

كان برنار كوشنير، وزير الصحة السابق في الحكومة الاشتراكية الفرنسية، أحد المؤسسين الأساسيين لهذه المنظمة. وقد كان إنقاذ أكراد العراق الفكرة الرئيسية لحملة "أطباء بلا حدود"، التي ظهرت بوصفها منظمة شديدة الدفاع عن الخيارات الأمريكية المتعلقة بالعراق. وتتمتع هذه المنظمة بدينامية بارزة جعلت منها أو كادت أحد عناصر الدعاية الحربية لحلف شمال الأطلسي. وقد جاء تعيين برنار كوشنير رئيس الإدارة المدنية

* مأساة "بيافرا": وقع في عام 1996 انقلاب عسكري في نيجيريا، وقد أثار صراعاً عرقياً أدى إلى أن أعلن المجلس الاستشاري في الجنوب الشرقي من البلاد المنطقة دولة مستقلة باسم دولة بيافرا. وقام شعب المنطقة بقيادة العقيد أوجوكو بمحاولة الانفصال عن الاتحاد النيجيري، ولكن الاتحاد رفض ذلك فنشبت حرب أهلية خلال الفترة 1967 ـ 1970، ولم تنته إلا بإبعاد العقيد أوجوكو وعودة بيافرا إلى الاتحاد. (المحرر).

في إقليم كوسوفا دليلاً حياً على التعاون القديم والمستمر بين هذه المنظمة والولايات المتحدة الأمريكية. وقد توجت نشاطات منظمة "أطباء بلا حدود" مؤخراً بمنحها جائزة نوبل للسلام.

ب. حق انتقائية التدخل

بسبب أن العالم مليء بالمآسي الإنسانية، فإن حلف شمال الأطلسي يقوم، وبسهولة فائقة، بانتقاء ضحاياه، ويتم الاختيار وفقاً لمعايير محددة ذات صلة مباشرة بمصالح واشنطن الحيوية. مثلاً، إن الدعم الممنوح لأكراد العراق ممنوع عن أكراد تركيا. كما أن العدد الذي لا حصر له من الجرائم العنصرية والأعمال الإرهابية التي ارتكبتها إسرائيل وترتكبها كل يوم، لا يستحق من الحلف حتى التلويح بالحق في التدخل لتقديم مساعدة للمتضررين من أعمال إسرائيل إن لم نقل ردعها.

في هذا المضمار على الولايات المتحدة الأمريكية أن تبدي قليلاً من التواضع مع حلفائها، وكثيراً من العدل والتجرد عند انتقاء أماكن التدخل وظروفه.

ج. استعمال الإنسانية بوصلة لخدمة أهداف سياسية وعسكرية

إنها مفارقة كبيرة، ألا يلتقي العمل الإنساني والعمل العسكري، رغم أن أحدهما يكمل الآخر. وباسم العمل الإنساني دارت رحى حرب البلقان. ومع تجنب إعطاء أي حكم تقييمي بالنسبة إلى عشرات الآلاف من الغارات الجوية التي شنتها قوات حلف شمال الأطلسي ضد الصرب والألبان في إقليم كوسوفا باسم العمل الإنساني، فإن الثابت الوحيد هو أن العمل الإنساني كان وحده الخاسر، فهو خاسر في كل مراحل هذا النزاع وتطوراته.

بالطبع، إن التصفية العرقية مدانة ومرفوضة ويجب وقفها، لكن التدمير الجماعي لصربيا، ولكوسوفا، وجزئياً للجبل الأسود، من قبل طيران حلف شمال الأطلسي، مع مواكبها الجنائزية و "الأضرار الجانبية" تثبت أن العمل الإنساني ليس سوى بوصلة عسكرية تشير إلى مصالح دولية، وتشكل جزءاً من تطور مفهوم الأمن لدى تلك الدول.

في هذا كله، تبدو الولايات المتحدة الأمريكية وكأنها تتخذ من منظمة الأمم المتحدة غطاءً لأهدافها، ففي الدورة الرابعة والخمسين للجمعية العمومية للأمم المتحدة المنعقدة في 20 أيلول/ سبتمبر 1999 ينبري السكرتير العام لمنظمة الأمم المتحدة كوفي أنان لإضفاء طابع الشرعية الدولية على عمليات الحلف العسكرية منتقداً الدول المتمسكة بمبدأ السيادة القومية، كالصين، لمعارضتها الحق في التدخل لأسباب إنسانية، مضيفاً أن التحدي الأكبر الذي سيواجه منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن في القرن الحادي والعشرين هو بناء وحدتهما حول مبدأ عدم قبول الانتهاكات الواسعة النطاق والمنتظمة لحقوق الإنسان أينما كانت، ومطالباً الدول بإعادة تحديد مفهوم السيادة والمصالح القومية مشيراً إلى أن مفهوم التدخل قد يراوح بين الإجراءات السلمية والأخرى التأديبية الطابع، تاركاً دور منظمة الأمم المتحدة لضمان نجاح السلام بعد الاستعانة بالآلة الأمريكية لإنهاء النزاعات العسكرية وذلك عن طريق حلف شمال الأطلسي أو القوى المتعددة الجنسيات.

د. الحروب الجديدة: مفاهيمها ووسائلها

من اللافت للنظر أن الذين راهنوا على انتهاء النزاعات أو تقليصها على الأقل مع انتهاء الثنائية القطبية؛ أي سقوط الاتحاد السوفيتي، قد صدموا لأن عام 1992 قد سجل أكبر عدد من الحروب في التاريخ؛ إذ تخللته 51 حرباً.

مفهوم الأمن في ظل
النظام العالمي الجديد

وأبرز ما في هذه الحروب أنها نشبت تحت عنوان حماية الإنسان، غير أنها في واقع الحال كانت حرباً بين الآلة والإنسان انتصرت فيها الآلة على الإنسان انتصاراً ساحقاً ومذلاً. فالحرب في كوسوفا قتلت ودمرت دون أن يشاهد فيها أي جندي أمريكي باستثناء الأسرى الثلاثة، ودور القس جيسي جاكسون الاستعراضي في إطلاقهم.

وإذا كانت مشاهد الأسرى الأمريكيين المقيدين في حرب فيتنام قد لعبت دوراً مؤثراً في قرار إنهاء الحرب على نحو ما انتهت إليه، فإن الولايات المتحدة الأمريكية فيما يبدو كانت تسعى لتجنب تكرار مثل هذه المشاهد أمام الرأي العام الأمريكي. ولا يستبعد أن تخوض حربها المقبلة بعد أن يكون قد أصبح لديها طائرات تؤدي كل المهمات التي تقوم بها الطائرات الحالية، ولكن من دون طيار.

إن أهل البلقان مساكين، فقد خاضوا حروب طواحين الهواء، كما أنهم غدوا مع أطفالهم وأملاكهم وبيوتهم هشيماً لنار الحرب. هذه هي حروب النظام العالمي الجديد، وهذه هي مفاهيمها. ومسكينة هذه الإنسانية كم من الحروب تخاض باسمها!

وتحت عنوان " حق القوة يتقدم قوة الحق " ، قامت إسرائيل على أرض فلسطين. واللافت للنظر أنه قبل العولمة وبعدها، كان لإسرائيل - ولايزال - مفهومها الأمني الخاص، ووسائلها المتطورة، وتفوقها النوعي، لفرض هذا المفهوم على الدول العربية المحيطة بها، وبالأخص لبنان الذي عانى قبل الاجتياح عام 1982 وبعده، واستمر يعاني حتى الرابع والعشرين من أيار/ مايو 2000 عندما انسحبت القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان.

وإذا كانت محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي المعتمد لدى بريطانيا، هي الذريعة التي اتخذتها إسرائيل لاجتياح لبنان عام 1982 واحتلال العاصمة بيروت، فإنها في الوقت عينه، هدفت لإظهار سياستها الأمنية القائمة على نظرية "الذراع الطويلة" القادرة على حماية رعاياها وأمنهم في أي مكان من العالم.

ورداً على عمل المقاومة التحريري في الجنوب، وهو عمل تقره المواثيق والأعراف الدولية، تسمح إسرائيل لنفسها باجتياح ناري للبنان عام 1996 فيما أطلقت عليه "عملية عناقيد الغضب"، تفرغ نتيجته الجنوب من سكانه، وتدمر مدنه وقراه وتحرق أرضه بشراً وحجراً.

ومن أجل حماية مستوطناتها الشمالية من بضعة صواريخ كاتيوشا تُطلَقُ رداً على قصف إسرائيل المتواصل لقرى الجنوب، لا يمر يوم إلا وتمطر فيه إسرائيل الجنوب اللبناني بوابل من القنابل وكأنه حقل رماية يتدرب فيه طياروها بالذخيرة الحية على أهداف تكون حية قبل القصف وسرعان ما تهمد بعده.

إن مفهوم الأمن الذي تعتمده إسرائيل هو مفهوم متناقض بحيث إنها تسعى - نتيجة عقدة الخوف النفسي لديها - إلى أمن كامل ثابت ومثالي، الشيء الذي يحتم أن يكون أمن الدول العربية المواجهة لها أمناً هشاً، ناقصاً ومعرضاً للاختراق دائماً.

4. مجموعة أعراض الدين

التقاطع الإيراني والأفغاني والبولندي

لا يمكن الإنكار بأن الثورة الإسلامية في إيران، والنضال المسلح

"للمجاهدين" الأفغان قد أزعجا الاتحاد السوفيتي السابق وزادا من قوة الجمهوريات الإسلامية المستقلة في آسيا الوسطى (أوزبكستان، وتركمانستان، وطاجكستان، وقرغيزيا وكازاخستان) والقوقاز (أذربيجان). وشكلا عنصراً حاسماً في انهيار الاتحاد السوفيتي أيديولوجياً على الأقل. وقد سبق لهنري كيسنجر لدى توليه شؤون الأمن القومي في الولايات المتحدة الأمريكية أن تكلم عن خلق هذا الهلال (الجمهوريات الإسلامية) المحيط بالاتحاد السوفيتي بوصفه عامل عدم استقرار ديني للإسراع في إطاحة دعائم الاتحاد السوفيتي.

ويصح الأمر نفسه بالنسبة إلى بولندا حيث شهدت الكنيسة الكاثوليكية انتفاضة طبقة العمال ضد النظام الشيوعي فتصدعت دعائمه. إنها مفارقة حقيقية للتاريخ، فقد كان للثورة العمالية البولندية أصداء كاثوليكية في جمهوريات البلطيق وأصداء سياسية على الكتلة الشرقية الاشتراكية بشكل عام. هذه السابقة يمكن أن تتكرر في مناطق أخرى من العالم، وأن تعنى بها المشروعات الجديدة لحلف شمال الأطلسي، ومثال كوسوفا يوضح ذلك. فاستخدام الدين تبدل مع سقوط الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية تطبق النظرية التي بشر بها المفكر الأمريكي صمويل هنتنجتون في كتابه «**صراع الحضارات**»، في السياسة العسكرية التي تنتهجها راهناً.

5. سلاح الإعلام

إن سلاح الإعلام هو السلاح الحقيقي للتدمير الجماعي، إن الدعاية تقصف العقول فتؤطرها عن طريق الضرب المتتابع بمطرقة عنيدة، صوتها قبل وقعها يرهق الأدمغة البشرية فيأسرها ويستغلها. إن عملية غسل

مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد

الأدمغة قد أصبحت عملة متداولة بفضل تطور وسائل الإعلام السمعية والبصرية، وبواسطة طرق المعلومات السريعة ووسائل الاتصال المتوافرة. وكان فلاديمير لينين قد أدرك أهمية السينما بوصفها وسيلة اتصال للطبقات الشعبية فتبناها. وكذلك عشق ريتشارد نيكسون التلفزيون فعدد مزاياه وأشاد بفاعليته، فوصف الشاشة الصغيرة بأنها الاختراع الأكثر رعباً ورهبة في القرن العشرين. والسلاح الذي أحبه نيكسون، فتجمد ساعات أمامه وقال عنه: "عدوي العزيز.. جهاز تلفزيوني"، قد أدى الدور الأساسي في هزيمته أمام خصمه جون كنيدي في المقابلة التلفزيونية الشهيرة عام 1960.

إن النجاح الأكبر الذي حققته الشاشة الصغيرة هو أن الناس يتعلقون بها بحكم العادة وليس بسبب نزعة مرضية في تعذيب الذات. هذه الآلة القاسية التي باستطاعتها الدخول إلى أدق حنايا البشر وحميمياتهم غدت جزءاً من طاقتهم تشارك في صنع عقلهم الواعي؛ إنها تسحرهم وتمتلكهم وتحركهم. إن حرب الاستقلال عن التلفزيون هي حرب الاستقلال الوحيدة التي لن تحصل أبداً.

لقد قامت حرب الصور - بعد دخولها المنتصر إلى الساحة الدولية عن طريق حرب الخليج الثانية - ببرمجة المعطيات لتطوير ثورتها، لا بل قلبت أوضاعها. وأصبحت قدرة الشاشات الصغيرة على "شيطنة" المستقبل كبيرة لدرجة أنها تحمي خطايا صانعي الحروب الأكثر خطورة ومرتكبي أشنع الجرائم في التاريخ من الرأي العام. بدون الدعاية، لم يكن بإمكان حلف شمال الأطلسي متابعة الحرب ضد يوغسلافيا. إن طيران الحلف لم يفرق بين البنى التحتية الصربية والبنى التحتية لكوسوفا. فسكان كوسوفا

كانوا مستهدفين من قبل الصرب ومن قصف الحلف؛ لذلك رأيناهم يهربون من الصرب ومن القصف أيضاً.

إن المشاهد المستمرة لبؤس كوسوفا كما بثتها الشاشة الصغيرة كانت ضرورية لتبرير التزام حلف شمال الأطلسي الحرب بالتراضي، وبالسعر الذي حدده هو نفسه.

إن الأمريكيين هم أسياد الإعلام، يسيطرون بصورة كلية على أجهزته ووسائله المتعددة. وهل الإعلام ووسائله سوى عنصر متطور لمفهوم الأمن؟

6. الأمن والتقنية

أ. نشوء الإنترنت وتطوره

في أواخر الستينيات (عام 1969)، ورداً على تفوق الاتحاد السوفيتي في الفضاء، سارعت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) إلى تأمين اتصالاتها وحمايتها، فعملت مؤسسة "الأربا" (Advanced Research Project Agency - ARPA) على إيجاد شبكة من آلاتها ومراكز أبحاثها، وفي أوائل الثمانينيات (عام 1983)، توصل الباحثون الأمريكيون إلى اكتشاف ما اصطلح على تسميته بالإنترنت أو شبكة الشبكات، التي هي كناية عن بروتوكول "برنامج" يسمح بنقل المعلومات والرسائل الإلكترونية عبر طرق متعددة ومختلفة بواسطة عناوين تلك الآلات.

والاكتشاف الذي بدأ عسكرياً تطور حتى غدا وسيلة للتواصل بين مختلف مراكز الأبحاث والعلوم والمعلومات بما فيها المراكز المتخصصة بالقضايا الأمنية. ومع حلول عام 1993 دخلت شبكة الإنترنت مرحلتها الثالثة فعممت على البيوت والمكاتب والإدارات والمطاعم والفنادق ومراكز اللهو... إلخ، وأدخلت العالم معها في عصر طرق المعلومات السريعة.

ب . خدمات الإنترنت ووسائلها الرئيسية

إن الارتباط بشبكة الإنترنت يوفر الاتصال بالحاسبات البعيدة عبر أرجاء العالم، وتشمل الشبكة الكثير من البرامج والوثائق التي تغدو في متناول أيدينا . أما النشاطات الرئيسة على شبكة الإنترنت فهي :

1 . البريد الإلكتروني (E-mail)، الذي يسمح بإرسال أو تلقي رسائل تضم صوراً أو جداول أو ملفات برامج خلال وقت قصير كما يتولى تخزينها .

2 . الشبكة العالمية (World Wide Web-www)، وهي أكثر الخدمات تطوراً وتشعباً لما تضمه من روابط تشمل العالم بأسره، وصفحات يمكنها أن تضم نصوصاً وصوراً وأصواتاً ولقطات فيديو وروابط إلى مواقع أخرى، كما يمكن استعمالها للحصول على وثائق وملفات .

3 . نقل الملفات من خلال "بروتوكول نقل الملفات" (File Transfer Protocole - FTP).

4 . الانضمام إلى مجموعات المناقشة .

5 . تبادل أطراف الحديث والمحاضرة عبر الإنترنت .

ج . الحروب الماضية وحروب الغد

استعملت الولايات المتحدة الأمريكية وقوات التحالف في حرب الخليج الثانية شبكة اتصالات خاصة بها جمعت بين عدة شبكات محلية والشبكة الأم في مركز القيادة الرئيسي في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). ولحماية المعلومات المرسلة أو الأوامر المعطاة عبر هذه

الشبكات عن بعد، اضطرت قيادة العمليات المحلية أحياناً المرور من الخليج العربي عبر أستراليا وصولاً إلى مركز القيادة الرئيسي في البنتاجون.

إن حرب الغد الممكنة هي حرب محورها الإنسان وليس مصادر الطاقة، ولمواجهة مثل هذه الحرب يجدر بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية خلق الجيش النخبوي عن طريق خلق الجندي المتميز المواكب لتطورات وتحديات العلوم التي تتقدم بسرعة عالية جداً.

وإذا كان الهجوم هو أحسن سبل الدفاع، فالتحضير للغد على صعيد الإنسان والتقنية يجب أن يشكل الهجوم الوقائي الذي تعتمده دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية لمواجهة أي حرب محتملة، أو ليس التنظيم ككل - ومنه العسكري - يسير وفق مدرسة المعلوماتية وبالأخص الشبكات، ولاسيما أن كل المدارس الأخرى من المدرسة النفسية وحتى الحسابية قد استنفدت.

7. أمن الخليج العربي

تُعدُّ منطقة الخليج العربي قلب العالم الإسلامي، وهي جسر التواصل بين القارات الثلاث؛ آسيا وأوربا وأفريقيا. ويشكل مخزونها النفطي حوالي 60٪ من الاحتياطي العالمي كما تزود أوربا بنسبة 75٪ من احتياجاتها النفطية، وتوفر 90٪ من استهلاك اليابان للطاقة. ويقع فيها مضيق هرمز وهو أهم ممر مائي في المنطقة. إن هذه المعطيات مجتمعة جعلت من منطقة الخليج العربي منطقة حيوية عالمياً. كما أن أهميتها الاستراتيجية فائقة بالنسبة إلى الغرب بشكل عام، وللولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص.

مفهوم الأمن في ظل
النظام العالمي الجديد

وكذلك كانت منطقة الخليج العربي – وماتزال – عرضة للاضطرابات الأمنية. فقد فاقت الخسائر البشرية فيها خلال العقدين المنصرمين فقط المليون ونصف المليون فرد.

إن هذا الواقع يطرح الكثير من الأسئلة على دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ليس أقلها:

1. ما الجهة أو الجهات التي قد تعرض أمن دول المجلس للخطر؟
2. في ظل النظام العالمي الجديد، ما دور الولايات المتحدة الأمريكية في منع هذه الأخطار أو ردعها؟
3. ما مسؤولية دول المجلس نفسها في مواجهة هذه الأخطار؟

أ. مصدر الخطر

إن الإجابة عن السؤال الأول المتعلق بتحديد مصدر الخطر تبيّن أن بعض دول الخليج العربي نفسها كانت – وما تزال – مصدر الأخطار التي تهدد أمن دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. والماضي القريب والحاضر يؤكدان ذلك.

إن إيران زمن الشاه احتلت أرضاً عربية خليجية هي الجزر الإماراتية الثلاث؛ طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى. واستمرت إيران زمن الجمهورية الإسلامية في احتلالها لتلك الجزر بل احتفظت بها بالقوة. كما رفض النظامان السابق والحالي في إيران قبول اللجوء إلى محكمة العدل الدولية للنظر في أحقية وقانونية ملكية تلك الجزر. وبذلك اختارا مبدأ "حق القوة يتقدم قوة الحق".

مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد

أما العراق زمن صدام حسين فقد تخطى المواثيق والأعراف الدولية واجتاح دولة الكويت عام 1990، رافضاً التجاوب مع مناشدات الأخوة والأصدقاء بالانسحاب، وضارباً عرض الحائط بالقرارات الدولية. فكانت عملية عاصفة الصحراء التي أخرجت العراق من دولة الكويت وأبقت على قسم من القوات الأمريكية في المنطقة ردعاً لأية مغامرات محتملة.

أما بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فإن اهتمامها بمنطقة الخليج العربي وأمنها يعود لفترة الحرب العالمية الثانية. وقد تنامى بعد انسحاب بريطانيا من المنطقة في السبعينيات. ولم يشكل هذا الالتزام الأمريكي بأمن منطقة الخليج العربي وجهاً من وجوه الحرب الباردة فحسب، وإنما كان ضرورة حيوية فرضتها مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في أوربا واليابان. لذلك، ومع ازدياد حاجة الولايات المتحدة الأمريكية للنفط، زاد اهتمامها بأمن المنطقة ضد أي خطر محتمل.

ورغم انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط الثنائية القطبية تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أن أمن الخليج العربي هو مسؤوليتها المباشرة لأنها لا تستطيع الاعتماد على حلفائها الأوربيين أو سواهم؛ لافتقارهم إما للقدرة الكافية وإما للإرادة اللازمة للتصرف بقوة في حال تعرض المنطقة لاعتداء ما.

إن نقطة الضعف الوحيدة للتدخل الأمريكي تكمن في المسافة الجغرافية الشاسعة التي تفصل بين الولايات المتحدة الأمريكية ومنطقة الخليج العربي. أما نجاح عملية عاصفة الصحراء عام 1991، رغم وجود نقطة الضعف هذه، فيعود إلى سببين اثنين: أولهما، مكوث صدام حسين في

دولة الكويت لمدة خمسة أشهر دون أن يتابع تقدمه نحو المملكة العربية السعودية، وقد سمحت تلك المدة للولايات المتحدة الأمريكية وقوى التحالف أن تحشد قواتها وعتادها وتقوم بعمليتها الناجحة. إن أي اعتداء مستقبلي قد لا يمنح المدافعين أو الحلفاء مثل هذا الوقت لنقل المعدات والجنود مسافة آلاف الأميال. وثانيهما، أن مصادفة احتلال صدام حسين دولة الكويت ومن ثم إخراجه منها قد تزامنا مع انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، الأمر الذي سمح للولايات المتحدة الأمريكية بالاستعانة بمعظم قواتها ومعداتها الموجودة في أوربا والقريبة نسبياً من الخليج العربي؛ منطقة العمليات.

ب. دور الولايات المتحدة الأمريكية

بعد حرب الخليج الثانية وتحرير دولة الكويت عام 1991، عقدت دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية جميعها، باستثناء المملكة العربية السعودية، اتفاقيات أمنية مع الولايات المتحدة الأمريكية. فيما كان التعاون الأمني والعسكري بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية قبل الحرب وبعدها وثيقاً يغطي حقولاً شتى، وإن لم ترعه اتفاقيات مكتوبة.

إن تلك الاتفاقيات ومعها الموافقات المسبقة التي حصلت عليها الولايات المتحدة الأمريكية من دول المجلس سمحت لها بتخزين معدات وأسلحة كافية لتجهيز فرقة برية. إضافة إلى أن البحر الأبيض المتوسط ومعه الخليج العربي أصبحا بحراً أطلسياً، الأمر الذي جعل من حاملات الطائرات الأمريكية قواعد جوية متحركة قريبة وجاهزة للتدخل خلال فترة قصيرة.

وإذا لم تؤمِّن هذه التسهيلات دفاعاً متكاملاً عن منطقة الخليج العربي، فإن الاستعانة بقوات أمريكية متمركزة بشكل دائم في الخليج العربي يصبح أمراً ضرورياً، ولا سيما أن الإحراج البسيط الذي قد يسببه مثل هذا التمركز لا يقارن بنسبة الأخطار الكبيرة التي قد تترتب نتيجة عدم وجودها.

وهنا يبرز السؤال الآتي: هل تكفي الاتفاقيات الخليجية- الأمريكية، والمظلة العسكرية التي تؤمنها تلك الاتفاقيات، لحماية دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية؟ وهل تشكل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية القائمة على مبدأ عزل واحتواء كل من العراق وإيران ضماناً كافياً لأمن الخليج العربي؟ وأين تقع مسؤولية دوله بالذات؟

ج. دور دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

إن مسؤولية دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في حماية منطقتها يجب أن تتقدم أية مسؤولية أخرى، رغم أن مجموع القوات العسكرية التابعة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية زهاء 250 ألف جندي موزعة على مختلف الأسلحة البرية والبحرية والجوية تساندها قوات مدرعة قوامها 1500 دبابة وقوة جوية قوامها 700 طائرة حربية.

بعد حرب الخليج الثانية، زادت دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من تكاتفها العسكري. وإثر اجتماعات عديدة، نشأت فكرة بناء قوات دفاعية مشتركة تضم مئة ألف جندي في صفوفها، أي تطوير قوة "درع الجزيرة" المنشأة أساساً وزيادتها بنسبة عشرة أضعاف. لكن هذه الاقتراحات لم تطبق نتيجة خلافات صغيرة بين بعض دول مجلس التعاون

لدول الخليج العربية (مثال على ذلك حوادث الحدود عام 1992 بين دولة قطر والمملكة العربية السعودية، ومشكلات ترسيم الحدود بين دولتي قطر والبحرين) والمشكلات الاقتصادية التي ترتبت نتيجة المبالغ الهائلة التي صرفت إبان حربي الخليج الأولى والثانية.

في عام 1991؛ بعد حرب الخليج الثانية مباشرة، حصل لقاء في العاصمة السورية دمشق ضم دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية إضافة إلى سوريا ومصر، نتج عنه ما سمي بـ "إعلان دمشق" الذي نص على المسؤولية المباشرة للمجتمعين عن أمن الخليج العربي. وذلك عن طريق تمركز قوات سورية ومصرية في المنطقة بغية التدخل السريع عند الضرورة. لكن تلك الاجتماعات المتتالية والنوايا الحسنة لم تكن كلها كافية لوضع هذا الإعلان موضع التنفيذ؛ فاعتبر إعلان دمشق عملياً قد ولد ميتاً.

إذا كانت مساحة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية باستثناء سلطنة عُمان والمملكة العربية السعودية لا تسمح ببناء جيش محترف كبير، فإن هذا لا يعفي المملكة العربية السعودية ومعها سلطنة عُمان من إمكانية بناء مثل هذا الجيش. أما التذرع بقلة عدد السكان والبالغ زهاء 20 مليوناً، فإنه ساقط حكماً، لأن عدد سكان سويسرا يوازي نصف هذا العدد في حين أن لديها جيشاً يعتبر من أفضل جيوش العالم تجهيزاً وتدريباً وحجماً قياساً إلى عدد السكان*.

* قد يكون هذا الجيش وراء عدم مغامرة هتلر باحتلال سويسرا أثناء الحرب العالمية الثانية، فبقيت على الحياد. كما أن جيش العدو الإسرائيلي مثال حي على تهافت هذه الذريعة (المحاضر).

مفهوم الأمن في ظل
النظام العالمي الجديد

لا يمكن لأحد أن ينكر على دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية محاولاتها الصادقة لبناء قوى عضوية ذاتية رادعة لتخفيض اعتمادها على الخارج. وبغية ترجمة هذه النوايا والمحاولات واقعاً ملموساً، فإن على الدول الست الشقيقة مجتمعة توفير التفوق النوعي لمقاتليها عن طريق تزويدهم بالمهارات والخبرات الحديثة تدريباً وتجهيزاً ليكونوا جيش النخبة. كما أن عليها اعتماد القوى الجوية المتطورة عموداً فقرياً لجيوشها.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن دولة الإمارات العربية المتحدة كانت سباقة في هذا المضمار ولم تزل، وصفقة شراء 80 طائرة إف 16 الأمريكية التي سوف تصل طلائعها في المستقبل القريب خير دليل على ذلك.

إن التفوق الجوي يؤمن عامل ردع للمعتدي يفسح المجال أمام قوات عسكرية حليفة أن تتدخل ويعطي الوقت لدبلوماسية عالمية فاعلة أن توقف الاعتداء. كما أن متابعة التزود بالأسلحة المتطورة العاملة حسب أفضل معايير التقنية الحديثة (High Tech) خاصة في حقلي الدفاع الجوي والبحري، تؤمن استيعاب الصدمة الأولى مهما عظم حجم الاعتداء.

إن وجود القوة يغني عن استعمالها. وإذا كانت الحروب هي استمرار للدبلوماسية ولو بأشكال أخرى، فالسلام في النهاية هو غاية الحروب. ولكن لكل شيء ثمناً.

مفهوم الأمن في ظل
النظام العالمي الجديد

الخلاصة

وفق حركة التاريخ فإن لكل شيء نهاية، حتى الإمبراطوريات الكبرى، فروما الإمبراطورية المطلقة الوحيدة في العالم والأخيرة؛ والاتحاد السوفيتي، مروراً ببريطانيا العظمى وإسبانيا وغيرهما، كلها قد اندثرت.

لقد تغيرت السياسة العالمية جذرياً خلال العقد المنصرم من ناحيتين: الأولى، أنها رسمت حدوداً مادية لنفسها استناداً إلى خطوط ثقافية وحضارية. أما الثانية، فهي أن معيارها الأساسي كان السلطة والصراع من أجلها. كذلك نرى العلاقات الدولية اليوم تتغير حسب هذا المقياس الجوهري.

إن وجود قوة عظمى واحدة الآن؛ أي الولايات المتحدة الأمريكية لا يعني أن العالم أصبح أحادي القطب، وبالتالي فإن الوضع المستجد لا يفرض مفهوماً أمنياً ثابت الهوية والتوجه.

إن الأحادية التي تمثلت على مر العصور بروما بوصفها قطباً أحادياً استطاع فرض إرادته منفرداً - ودون مشاركة حلفاء له - جاعلاً من الباقين أجراماً تدور في فلكه، يتمايز كلياً عما هي عليه حال الولايات المتحدة الأمريكية اليوم حيث لم تستطع وحدها، ورغم سلاحيها الفاعلين؛ التدخل العسكري والعقوبات الاقتصادية، أن تفرض إرادتها على أحد، فسلاحها الأول لزمه دائماً مشاركة حلفاء لها وخاصة الأوربيين، وسلاحها الثاني؛ أي سلاحها الاقتصادي لم يكن ناجعاً إلا مع انضمام حلفائها الأوربيين - بالإضافة إلى اليابان - إليها. وقد أظهرت محاولاتها المنفردة كلها ضعفاً أكيداً ولم تظهر قوة مطلقة.

مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد

لذلك فإن التسمية الصحيحة للفترة التي يعيشها العالم اليوم هي الأحادية المتعددة النظام كما سماها الفيلسوف الأمريكي المعاصر صمويل هنتنجتون (Uni-Multipolar System). فالنظام العالمي الجديد هو نظام هرمي أحادي القيادة متعدد القوى.

لقد كان للتفسير الأمني للتاريخ دائماً حق مميز لدى المؤرخين وصانعي التاريخ. إن الأوقات تتغير باستمرار، ومضمون التغيير يفوق الفهم البشري بفضل التطور المذهل للتقنية العالية، والتي من مميزاتها "أن تسرع التسريع". ويشترك الفلاسفة وعلماء السياسة والدبلوماسيون والسياسيون والفنانون ورجال الإعلام... إلخ، طائعين أو مكرهين، في تأطير المسار ووضع الخطوط، وتحديد جوهر التاريخ المعاصر والمقبل. إن وسائل القمع وأجهزة الاستخبارات ترسم خطوط العمل العام وحدوده، فتستوعب الاعتراضات وتجهضها وتقضي على كل ما تعتبره تهديداً للنظام.

إن قدم علم الأمن والعلوم العسكرية يوازي قدم التاريخ نفسه، وما أفكار صن تسو فيلسوف الحرب الصيني القديم (القرن الرابع ق. م) سوى شاهد حي على هذه العلاقة العضوية التي ربطت ومازال تربط التطور العالمي بالحاجة الحربية. وقد يكون من سوء الحظ أننا نحيا في عالم لا يجد أفضل من الأمن وسيلة لكتابة التاريخ ومن الإنسان وسيلة لتنفيذه.

نبـذة عـن المحاضـر

عدنان أمين شعبان

يحمل درجة الماجستير من الجامعة اللبنانية الأمريكية، في العلوم السياسية والشؤون الدولية، والإجازة التعليمية في التاريخ من الجامعة اللبنانية عام 1977. التحق بالجيش اللبناني، وشغل رئاسة جهاز الأمن القومي التابع للشعبة الثانية حتى عام 1983، حيث تقاعد برتبة عقيد، وتابع العديد من الدورات التدريبية في الشؤون الأمنية في كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية بين عامي 1970 و1974.

يمارس الكتابة الصحفية في الصحافة اللبنانية وبخاصة في صحيفة النهار منذ عام 1994، وكتب العديد من المقالات لمجلات عربية كمجلة "الأفكار" و"الرأي"، وكان قد أسس مع بعض الشخصيات اللبنانية دار بيروت للطباعة والنشر، وتصدر عن الدار مجلة سياسية هي مجلة «الرائد».

صدر من «سلسلة محاضرات الإمارات»

1 ـ بريطانيا والشرق الأوسط : نحو القرن الحادي والعشرين

مالكولم ريفكند

2 ـ حركات الإسلام السياسي والمستقبل

د. رضوان السيد

3 ـ اتفاقية الجات وآثارها على دول الخليج العربية

محمد سليم

4 ـ إدارة الأزمات

د. محمد رشاد الحملاوي

5 ـ السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي

لينكولن بلومفيلد

6 ـ المشكلة السكانية والسلم الدولي

د. عدنان السيد حسين

7 ـ مسيرة السلام وطموحات إسرائيل في الخليج

د. محمد مصلح

8 ـ التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية

خليل علي حيدر

9 ـ الإعلام وحرب الخليج : رواية شاهد عيان

بيتر آرنيت

10 ـ الشورى بين النص والتجربة التاريخية

د. رضوان السيد

11 ـ مشكلات الأمن في الخليج العربي
منذ الانسحاب البريطاني إلى حرب الخليج الثانية

د. جمال زكريا قاسم

12 ـ التجربة الديمقراطية في الأردن : واقعها ومستقبلها

هاني الحوراني

13 ـ التعليم في القرن الحادي والعشرين

د. جيرزي فياتر

14 ـ تأثير تكنولوجيا الفضاء والكومبيوتر على أجهزة الإعلام العربية

محمد عارف

15 ـ التعليم ومشاركة الآباء بين علم النفس والسياسة

دانييل سافران

16 ـ أمن الخليج وانعكاساته على دولة الإمارات العربية المتحدة

العقيد الركن/ محمد أحمد آل حامد

17 ـ الإمارات العربية المتحدة «آفاق وتحديات»

نخبة من الباحثين

18 ـ أمن منطقة الخليج العربي من منظور وطني

صاحب السمو الملكي الفريق أول ركن
خالد بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

19 ـ السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط
والصراع العربي ـ الإسرائيلي

د. شبلي تلحمي

20 ـ العلاقات الفلسطينية ـ العربية من المنفى إلى الحكم الذاتي

د. خليل شقاقي

21 ـ أساسيات الأمن القومي: تطبيقات على دولة الإمارات العربية المتحدة

د. ديفيد جارنم

22 ـ سياسات أسواق العمالة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

د. سليمان القدسي

23 ـ الحركات الإسلامية في الدول العربية

خليل علي حيدر

24 ـ النظام العالمي الجديد

ميخائيل جورباتشوف

25 ـ العولمة والأقلمة: اتجاهان جديدان في السياسات العالمية

د. ريتشارد هيجوت

26 ـ أمن دولة الإمارات العربية المتحدة: مقترحات للعقد القادم

د. ديفيد جارنم

27 ـ العالم العربي وبحوث الفضاء: أين نحن منها؟

د. فاروق الباز

28 ـ الأوضاع الاقتصادية والسياسية والأمنية في روسيا الاتحادية

د. فكتور ليبيديف

29 ـ مستقبل مجلس التعاون لدول الخليج العربية

د. ابتسام سهيل الكتبي

د. جمال سند السويدي

اللواء الركن حيي جمعة الهاملي

سعادة السفير خليفة شاهين المرر

د. سعيد حارب المهيري

سعادة سيف بن هاشل المسكري

د. عبدالخالق عبدالله

سعادة عبدالله بشارة

د. فاطمة سعيد الشامسي

د. محمد العسومي

30 ـ الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة :

صراع أم التقاء؟

د. علي الأمين المزروعي

31 ـ منظمة التجارة العالمية والاقتصاد الدولي

د. لورنس كلاين

32 ـ التعليم ووسائل الإعلام الحديثة وتأثيرهما

في المؤسسات السياسية والدينية

د. ديل إيكلمان

33 ـ خمس حروب في يوغسلافيا السابقة

اللورد ديفيد أوين

34 ـ الإعلام العربي في بريطانيا

د. سعد بن طفلة العجمي

35 ـ الانتخابات الأمريكية لعام 1998

د. بيتر جوبسر

36 ـ قراءة حديثة في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة

د. محمد مرسي عبدالله

37 ـ أزمة جنوب شرقي آسيا: الأسباب والنتائج

د. ريتشارد روبيسون

38 ـ البيئة الأمنية في آسيا الوسطى

د. فريدريك ستار

39 ـ التنمية الصحية في دولة الإمارات
العربية المتحدة من منظور عالمي

د. هانس روسلينج

40 ـ الانعكاسات الاستراتيجية للأسلحة البيولوجية
والكيماوية على أمن الخليج العربي

د. كمال علي بيوغلو

41 ـ توقعات أسعار النفط خلال عام 2000 وما بعده
ودور منظمة الأوبك

د. إبراهيم عبدالحميد إسماعيل

42 ـ التجربة الأردنية في بناء البنية التحتية المعلوماتية

د. يوسف عبدالله نصير

43 ـ واقع التركيبة السكانية ومستقبلها في دولة الإمارات العربية المتحدة

د. مطر أحمد عبدالله

44 ـ مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد

عدنان أمين شعبان

قسيمة اشتراك في سلسلة

«محاضرات الإمارات»

الاسـم : ....

المؤسسة : ....

العنـوان : ....

ص. ب : .... المـدينـة : ....

الرمز البريدي : ....

الـدولـة : ....

هـاتـف : .... فـاكـس : ....

البريد الإلكتروني : ....

بدء الاشتراك : (من العدد : .... إلى العدد : ....)

رسـوم الاشتـراك*

للأفراد :	110 دراهم	30 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات :	220 درهماً	60 دولاراً أمريكياً

☐ للاشتراك من داخل الدولة يقبل الدفع النقدي، والشيكات، وبطاقات الائتمان، والحوالات النقدية .

☐ للاشتراك من خارج الدولة تقبل الحوالات المصرفية فقط شاملة المصاريف فقط .

على أن تسدد القيمة بالدرهم الإماراتي أو بالدولار الأمريكي باسم مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية .

حساب رقم 0590712138 - بنك المشرق - شارع خليفة

ص. ب : 858 أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

ترجى موافاتنا بنسخة من إيصال التحويل مرفقاً مع قسيمة الاشتراك إلى العنوان التالي :

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

قسم التوزيع والمعارض

ص. ب : 4567 أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة

هاتف : 6424044 (9712) فاكس : 6426533 (9712)

البريد الإلكتروني : books@ecssr.ac.ae

الموقع على الإنترنت : Website: http://www.ecssr.ac.ae

* تشمل رسوم الاشتراك الرسوم البريدية، وتغطي تكلفة اثني عشر عدداً من تاريخ بدء الاشتراك





مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
The Emirates Center for Strategic Studies and Research
ص . ب : 4567 ـ أبوظبي ـ الإمارات العربية المتحدة
هاتف : 6424044 - 9712+ ـ فاكس : 6426533 - 9712+ ـ E-mail: books@ecssr.ac.ae
http://www.ecssr.ac.ae